سلسلة نفائس الفكر الإسلامي

- ١ -

التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض

تأليف

الحسن بن متويه البحراني المعتزلي
(المتوفى سنة ٤٦٩ هـ)

تحقيق وتقديم وتعليق

د. سامي نصر لطف
كلية الآداب - جامعة عين شمس

د. فيصل بدير عون
كلية الآداب - جامعة عين شمس

تصدير

د. ابراهيم مدكور
رئيس مجمع اللغة العربية

دار الثقافة للطباعة والنشر
بالقاهرة

تصدير

لاشك فى أن البعثة المصرية للمخطوطات التى أرسلت إلى اليمن عام ١٩٥١ كانت موفقة كل التوفيق ، فقد زودتنا بزاد وفير عن الفكر الإسلامى عامة والفكر المعتزلى خاصة . وكم كانت معلوماتنا عن هذا الأخير محدودة وناقصة ، غير مباشرة وظالمة أحيانا ، عدا عليها تحامل بعض المدارس وتعصبها ، وأضيف إليها ماليس منها . ومن بين ما حملته إلينا هذه البعثة قدر من مؤلفات القاضى « عبد الجبار » (سنة ٤١٤ هـ — سنة ١٠٢٣ م) وفى مقدمتها موسوعته الكبرى التى تقع فى عشرين جزءا وهى « كتاب المغنى » الذى لم يصلنا منه إلا أحد عشر جزءا ، وآخر مشكوك فيه . ومع ذلك لم نتردد فى إخراج ماتوفر لدينا منه ، سدا للحاجه ورغبة فى أن يعين ذلك على استكمال مابقى ، وبذلنا فى سبيل الكشف عن الباقى ما استطعنا من جهد ، دون جدوى حتى الآن ، وعسى أن يتحقق أملنا يوما ما . والقاضى « عبد الجبار » أشعرى قديم اجتذبته آراء المعتزلة ، على عكس ما صنع أبو الحسن ، وهو دون نزاع إمام الاعتزال فى صحوته الأخيرة إبان حكم البويهيين . وإذا كان المعتزلة الأول قد باد جل إنتاجهم ، فإن زيدية اليمن احتفظوا لنا بقدر كبير من إنتاج المعتزلة المتأخرين . وهانحن أولاء نعالجه ونفيد منه ، ونكمل به بعض ما فات من نقص . وقد قامت حوله

دراسات فى العشرين سنة الأخيرة ، ولا يزال هذا التراث فى حاجة إلى مزيد من البحث والدرس .

ولعبد الجبار مدرسة ازدهرت فى القرن الخامس الهجرى ، وهو قرن عامر بكبار الفلاسفة والعلماء والمتكلمين وامتدت فى اليمن إلى اليوم . ومن تلامذة عبد الجبار المباشرين ابن متويه (سنة ٤٦٩ هـ — ١٠٧٦م) ، أخذ عنه ، واحتفظ بتراثه وسجّله ، وحاكاه تمام المحاكاة . حاكاه فى نزعته الموسوعية، فألم بأطراف الدواسات المحيطة به من علم وفلسفة ، وفرق وعقائد . وحاكاه فى منهجه ، فتوسع مثله فى الجمع والسرد ، والتحليل والتفصيل ، وعنى برد الآراء إلى أصحابها .

وما أشبه كتب التلميذ بكتب الأستاذ ، وقد يختلط الأمر أحيانا ، وتعز التفرقة بينها ، وكتاب « التذكرة » الذى بين أيدينا خير شاهد على ذلك ، فهو ، وإن دار حول الجوهر وأعراضه ، يعرض لقضايا طبيعية وكيميائية ، ويعنى بالمشاكل الكلامية والميتافيزيقية ، ولم يفته أن يشير إلى شىء من علوم اللغة وفقهها . وفيه أخذ ورد ، واعتراض وجواب ، على نحو ما أولع به عبد الجبار.

• • •

وهذا الكتاب ثمرة من ثمار بعثة اليمن التى أشرنا إليها من قبل ، وقد اضطلع بتحقيقه وإخراجه إثنان من شباب الفلاسفة الذين نعول عليهم فى حمل الأمانة والاضطلاع بالرسالة ، وهما الدكتور « سامى نصر » والدكتور « فيصل عون» فكفا عليه منذ زمن ، ولقيا فى اخراجه ما لقيا من عنت . وبرغم النسخ الثلاث التى عولا عليها صادفا صعابا كان لابد من تذليلها ، وقد أخذا أنفسهما بمنهج

التحقيق العلمى ، وإن توسعا فى الحذف والزيادة رغبة فى الوضوح . واستعانا بالعناوين والتبويب والفواصل ، حرصا على الإيضاح . ولم يقنعا بتحقيق النص ، بل قدما له بمقدمة طويلة ، عرفا فيها بالمؤلف وكتابه ، وشرحا منهجهما فى التحقيق وأطالا فيه بعض الشىء ، ولخصا ماورد فى الكتاب من فصول وأبواب ، وختما ببعض التعليقات والفهارس .

ولا أشك فى أن القارىء المتخصص سيقدر كل التقدير ما أضافا إلى مكتبة اليوم من ثروة ، ويأمل أن يتابعا هذا الجهد والعطاء .

ابراهيم مدكور

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

كان نزول القرآن الكريم على خاتم المرسلين ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حدثاً عالمياً عظيما ، كما أنه يعد نقطة تحول كبرى فى تاريخ الفكر الإنسانى. ولا يستطيع أحد أن ينكر دور القرآن باعتباره عاملا رئيسياً وهاماً فى نشأة الفكر الفلسفى الإسلامى وتطويره ، بالإضافة إلى استيعاب كثير من الثقافات الأجنبية ، يونانية ، وفارسية ، وهندية ، مما أدى إلى نهضة علوم كثيرة ، وظهور علوم أخرى لم يكن لها وجود من قبل ، كعلم الحديث ، والتفسير ، والفقه وهو مايسمى بعلم الفروع ، أى فروع الدين الإسلامى ، فى مقابل علم الأصول ، وهو أصول الدين ، وهو علم الكلام الذى كان على رأس تلك العلوم التى ظهرت بظهور الدين الإسلامى ونزول القرآن بوصفه كتاب علم وعمل ، أى كتاب دنيا ودين .

وليس جديداً على القراء أن نؤكد هنا على أهمية علم الكلام من حيث كونه الفلسفة الإسلامية الحقيقية من وجهة نظر دينية عقائدية . فإذا كانت نقطة إنطلاق الفيلسوف هى العقل فى تأمله للوجود ، فإن النظر والتأمل فى النص الدينى والغوص فى فحواه ، هو نقطة انطلاق عقل المتكلم ، أو الباحث فى علم التوحيد ، كما يسمى فى بعض الأحيان .

ولعلنا نتذكر أن الفرق الإسلامية المتعددة ، ومدارسها التى تفرعت عنها ، ومذاهبها التى تنوعت تبعاً لها ، وإن كانت قد نشأت فى أول أمرها نشأة سياسية ، وأن السياسة كانت عاملا أساسياً فى خروجها إلى حيز الوجود ، فإن هذه النشأة السياسية كانت مرتبطة بالدين ، وبالتعاليم الدينية . فإذا كانت الفرق الإسلامية قد تمثلت وظهرت فى البيئة الإسلامية حينما انقسمت فيما بينها بشأن مسألة الإمامة ، أو حول موضوع الكلام الإلهى ، أقديم هو أم محدث ، أو تجاه مشكلة دفن الرسول الكريم بعد وفاته ، أو حتى فيما يتصل بمرضه صلى الله عليه وسلم الذى ذكر فيه أنه طلب ممن حوله قرطاساً وقلماً ليكتب لهم كتاباً ، أى دستوراً ، لا يضلوا من بعده ، نقول إذا كانت هذه المشاكل ، وكثير غيرها ، قد أوجدت جواً ملائماً لظهور الخلافات بين المسلمين ، فإن هذه المشاكل مرتبطة بالدين ارتباطاً وثيقاً ، وما كان لها أن توجد لولا وجود الدين الإسلامى . والمجال لا يتسع للحديث كما ينبغى فى كل منها ، بحسب طبيعة كل مسألة ، فربما احتاجت كل مسألة منها إلى مبحث مستقل بذاته .

والكتاب الذى نقدمه اليوم لقراء الفكر الإسلامى ، كتاب ينتسب إلى فرقة المعتزلة ، تلك الفرقة التى كانت لها صولات وجولات فى تاريخ الفلسفة الدينية عند المسلمين ، بل وفى تاريخ الفكر الفلسفى الإسلامى الحقيقى ، كما نؤثر أن نسميه دائما . وأكثر من ذلك فلقد امتد تأثير المعتزلة إلى بعض مجالات الفكر الإنسانى عند غير المسلمين وغير العرب . ولعل هذا يدعونا إلى أن نقف وقفة عند هذه الفرقة ذات التأثير الفكرى الرائع ، لنرى كيف تعرضت ، كغيرها من الفرق ، لعوامل التأييد والتعضيد أحياناً ، ولعوامل الهجوم والتقويض فى أحيان أخرى . فالمعتزلة ترجح شأنها بين العلو والانحدار ، فكانت فى أوج عزها فى أول دولة بنى العباس لاسيما فى خلافة المأمون والمعتصم والواثق ، فإن هؤلاء استخدموهم ودعوهم إلى

مجالسهم وأكرموهم وفضلوهم على سائر العلماء . وكان لأحدهم مكان راسخ عندهم وتأثير مستمر عليهم ، وهو أحمد بن أبى داود القاضى . كما كان قاضى القضاه عبد الجبار بن أحمد الهمذانى فى أيام الصاحب بن عباد ونظام الملك وفخر الدولة الذى صادر ممتلكاته من بعد موت الصاحب بن عباد . والمعتزلة صارت، فى أيام ابن أبى دارد وعبد الجبار ، الفرقة الفائزة ، ولا ننسى أنهم أخذوا يستعلون على خصومهم ويستولون عليهم حتى بالغوا وغالوا وأطلقوا عن محنة علماء أهل الحديث ما أطلقوا . ولما توفى الواثق ، الذى سعى فى تفضيلهم كل السعى ، واستولى المتوكل على عرشه ، لم ينظر إلى المعتزلة بعين الرضا والعناية ، فعاد خصومهم وحاربوهم من جهة ، وحلوا عليهم من كل باب ، فصبت على رؤوسهم اللعنتان ، لعنة أهل السنة والحديث ، ولعنة أهل الرفض ، كابن الراوندى ، والرازى الطبيب وغيرهما .

والرأى العام فى المعتزلة من أعدائها ، رافضة وأهل سنة ، يقول فيها كل نقص وشر وسوء ، ويرميها بالكفر والزندقة وسوء النية والقصد إلى هدم أركان الإسلام والطعن فى الدين ، وعادة ما كان يفهم معظم الخصوم أقوال المعتزلة على ضوء الشر والخطأ والقصد السيء ، حتى لا تكاد تذكر إلا مع التقبيح والتفكير ، وذلك لما فى مذهبهم من غلو فى تحكيم العقل فى كل مسائل النقل . والمؤرخ الذى يقف على الحياد يمكنه أن يحكم على نية المعتزلة وقصدها بغير حكم الخصوم ، وبهذا يمكن أن توضع المعتزلة فى مكانة غير المكانة التى وضعها فيها الباحثون المتعصبون لهذه الفئة أو لتلك . وهذا الحكم الموضوعى الحيادى لن يتيسر إلا بالنظر نظراً موضوعياً فاحصاً فى عماد فلسفتهم ألا وهى أصولهم الخمسة التى حولها تدور أفكارهم الرئيسية . ويمكننا حينئذ أن نرى أن كل فكرة قالوا بها ، وكل رأى إرتأوه إنما كان عن نية حسنة توفرت لدى المعتزلة ، وهى الدفاع عن الإسلام والزود عنه ضد

خصومه من الباطنية والزنادقة والمجوسية والمزدكية والمانوية والديصانية والبابكية وغير هذه الفرق من الثنوية والملحدين والمنافقين . أما عن تحكيمهم العقل فهو موقف يحسب لهم ولا يحسب عليهم .

أما عن معلوماتنا عن فرقة المعتزلة فقد كانت قليلة وناقصة للغاية منذ سنوات عديدة ، إذ كنا نعتمد فى فهمنا لها على بعض الشذرات والمقتطفات التى خلفها لنا مؤرخو الفرق والعقائد ، وهذه المعلومات كانت فى الغالب على لسان خصوم المعتزلة وهى من ثم لا تعد مصدراً رئيسياً فى فهم المعتزلة الفهم الصحيح الشامل .

وبدأت بعض الكتب التى ألفها رجال المعتزلة أنفسهم تخرج إلى حيز الوجود مثل كتاب (الانتصار) لأبى الحسين الخياط المعتزلى الذى يرد فيه على ابن الراوندى الملحد فى هجومه على المعتزلة من خلال كتابه (فضيحة المعتزلة) والذى ألفه ابن الراوندى رداً على كتاب الجاحظ (فضيلة المعتزلة) . وكتاب (الإنتصار) الذى نشره د. نيبرج مع مقدمة رائعة سنة ١٩٢٥ ، وأعاد د. ألبير نادر طبعه مع ترجمة فرنسية سنة ١٩٥٧ ، نقول إن هذا الكتاب بالرغم من قيمته الفكرية كـكتاب فى الردود والجدل ودفع الهجوم من زاوية معينة ، إلا أنه لا يعتمد عليه فى تبيين وتحديد طريق المعتزلة وأدلتهم الإلهية وأصولهم الخمسة بالتفصيل المنشود .

وهكذا صدر كتاب (شرح الأصول الخمسة) للقاضى عبد الجبار تحقيق د. عبد الكريم العثمان ، وكتاب (المجموع فى المحيط بالتكليف) جمع ابن متويه عن القاضى عبد الجبار أيضاً ، تحقيق السيد / عمر عزمى ، وطبعه أيضاً الأب يوسف هوبن بتحقيق على نسخ أخرى للمخطوط ، ومن قبل ومن بعد صدر كتاب ، بل دائرة معارف الفكر الاعتزالى ، المغنى فى أبواب التوحيد والعدل فى حوالى ستة عشر جزءاً ، للقاضى عبد الجبار بتحقيق لجنة من كبار أستاذة الفكر الإسلامى تحت اشراف أستاذ الجيل المرحوم د. طه حسين ، ومراجعة أستاذنا الدكتور

ابراهيم مدكور كما صدر أيضاً كتاب لأبي رشيد النيسابوري، يضاف إلى الكتاب الذي نشره من قبل ا. بيرام سنة ١٩٠٢ من كتاب (المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين)، وهو كتاب (ديوان الأصول) الذي حققه وقدم له أستاذنا الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده . نقول إنه بصدور هذه الكتب من تراث المعتزلة ، بصرف النظر عن كتب الجاحظ كالحيوان والبخلاء والبيان وغيرها من الكتب التي لا تمثل التراث الفكري بمعناه المحدود ، أمكن لنا تكوين فكرة متكاملة عن فلسفة المعتزلة من كتبهم الرئيسية ، وإلى أي مدى كانوا بحق أحرار الفكر الفلسفي الإسلامي في العصور السابقة ، وأصحاب النزعة العقلية في التفكير العربي الإسلامي منذ قرونه الأولى .

وهكذا أمكن لنا أن نتخلص من أسلوب في البحث كانت تمليه علينا طبيعة المصادر المتوفرة ، من الكتب غير الاعتزالية التي كان لا مندوحة للباحث من اعتبارها مصادره الرئيسية للحصول على آراء المعتزلة . مع ملاحظة أن بعض الباحثين ربما ظلم المعتزلة حين تناول آراءهم من خصومهم ، خصوصاً إذا لم يكن حذراً في النظر في حكم هؤلاء الخصوم ، فلقد كانت كتب المقالات والفرق ، سنية وأشعرية ، هي المصادر السائدة الغالبة . فمثلا كان كتاب (مقالات الإسلاميين) للأشعري هو خير معين لهذه الآراء ، إذ أن الأشعري في هذا الكتاب عارض أمين دون تدخل في الحكم أو التقييم ، وهو في هذا الكتاب يعد مؤرخاً وليس مفكراً كما بدا لنا في كتبه (اللمع) ، (الإبانة عن أصول الديانة) ، (استحسان الخوض في علم الكلام) . وهذا هو الحال بالنسبة للشهرستاني الذي كان مؤرخاً من خلال كتابة (الملل والنحل) ثم مفكراً وصاحب رأي في كتابيه (نهاية الأقدام) وفي (مصارع الفلاسفة ، أو المصارعات) الذي لا يزال مخطوطاً . وبطبيعة الحال فإن من يتعرض لكتب الفرق والعقائد والأصول لا ينسى كتب

البغدادى مثل (الفرق بين الفرق) ، (أصول الدين) وكتب الباقلانى مثل(التمهيد) و (الانصاف) وكتب الجوينى مثل (الإرشاد) ، و (الشامل فى أصول الدين) والاسفرائينى فى كتابه (التبصير فى الدين) والملطى فى كتابه (التنبيه والرد) وابن حزم فى كتب كثيرة منها (الفصل فى الملل والنحل) ، (التقريب لحد المنطق) والفخر الرازى فى كتبه العديدة (محصل أفكار المتقدمين) ، المباحث الشرقية)، (الأربعين فى أصول الدين) وكتب ابن القيم وابن الجوزى وابن تيمية والايجى والبيضاوى وغير هؤلاء كثير مما يؤكد أن تراث المعتزلة الأصيل لم يكن تحت أيدى الباحثين ، إلى أن أمكن لبعثة اليمن إكتشاف مايربو على ١٦٠٠ مخطوط للمعتزلة خاصة القاضى عبد الجبار وتلامذته المباشرين وغيرهم من الشيعة الزيدية ولعل الأيام تحمل لنا مفاجآت أخرى من هذا التراث الاسلامى العظيم الذى هو غذاء للأرواح البشرية الحقيقية التى تنشد العلم ، وتطلب المعرفة ، تلك الأرواح التى تؤمن بأن نشر التراث هو من أوجب الواجبات ، وهو نقطة انطلاق العقل البشرى إلى آفاق أخرى ، فمن لاماضى له فلا حاضر ولا مستقبل له ، إذ أن الفكر البشرى لا تختلف لحظاته عن آنات الزمان ، إذ أن لكل منهما ماض وحاضر ومستقبل .

والكتاب الذى نقدم له هنا سار فى ركب الفلسفة الدينية الإسلامية ، وعبر عنها تعبيراً صادقاً ، وتوسع فيها فأضاف إليها ، ويعد بحق من أهم الأعمال الرئيسية لفلسفة المعتزلة ، أو لمدرسة القاضى عبد الجبار ، إذ أنه من الجدير بالذكر هنا أن ثمة شبها كبيراً بين مصنفات القاضى وتلاميذه ، من حيث طريقة العرض والتعريفات وجوهر الأدلة ، وكثير من التعبيرات التى صارت علامة أو أساسا لوجهة النظر وطريقة العرض والبحث . ومن هذا مالاحظناه من شبه كبير بين كتابنا هذا وبين كتاب (المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين) ، حتى

أننا لا نغالى إذا قلنا أننا أصلحنا عبارة من كتابنا هذا بالرجوع إلى كتاب المسائل وكانت الكلمات متطابقة تماما ، وهذا يؤكد ماأردنا بيانه من أن مدرسة القاضى عبد الجبار وتلاميذه ، بل وهذه الفترة من القرن الخامس الهجرى بالذات ، كانت تثير موضوعات ومسائل متشابهة إن لم تكن واحدة بعينها ، وعلى كل حال فإن كتب المعتزلة كانت مرتبطة ببعضها ومترابطة فيما بينها .

أهمية هذا الكتاب :

وفى الواقع إننا لم نكد ننظر فى عنوان المخطوط ، ثم فى مضمونه من بعد ، بصرف النظر عن مكانة صاحبه ، حتى أمكن لنا أن نتبين قيمته وأهميته من حيث المحتوى والموضوع والمشاكل التى يثيرها ، لاسيما وقد وجدناه يحتوى على أصول وآراء لكثير من مشايخ ومشاهير المعتزلة وغيرهم من أصحاب الفرق الأخرى ، بل وآراء لكثير من المفكرين غير العرب وغير المسلمين ، ولاحظنا أنه فيما يتصل بمناقشة المسائل الدقيقة المرتبطة بمقدمات الأدلة ، وإثبات الآراء عند المعتزلة يطنب بعض الشىء فى الأخذ والرد والافتراض والاعتراض وهكذا من أسلوب الجدل الذى كان يتسم به علم الكلام الإسلامى ، خاصة عند المعتزلة .

وكتاب هذا شأنه رأينا أنه جدير بالفحص والتدقيق والتحقيق ، فضلا عن أنه غير معقول أن تظل المكتبة العربية مفتقرة إلى مثل هذا النوع من كتب التراث الفكرى الإسلامى .

ولقد وردت فى كتابنا أسماء كثيرة لعديد من شيوخ الاعتزال ورؤوسه ، مثل : أبو الهذيل العلاف ، النظام ، ابن الراوندى ، الكعبى ، الجاحظ ، الجبائيان أبو على بن خلاد ، أبو عبدالله الحسين بن على البصرى ، الذى صار استاذ قاضى القضاة ، وأبو اسحق بن عياش تلميذ أبى هاشم الجبائى وابن خلاد وأستاذ قاضى القضاة أيضا ، وقاضى القضاة ، وأبو اسحق النصيبينى المعاصر له ، وأبو رشيد

سعيد النيسابورى تلميذ القاضى إلى جانب صاحبنا ابن متويه . ولاننسى أن الكتاب أشار إلى آراء كثير من المفكرين غير المعتزلة إذ كان يحتوى على مقارنات طريفة بين آراء كثير من السابقين عليه والمعاصرين له ، فذكر الرازى الطبيب ، وذكر الاشاعرة والكرامية والكلابية والمجسمة والخوارج وبعض أهل السنة ، كما ذكر الطبيعيين الأوائل ، وذكر أرسطو وإقليدس وغير هؤلاء كثير أيضا .

وكتاب هذا محتواه وجدنا أنه حقيق بالنشر والتعريف ، إذ أنه يضع القارىء أمام صورة حية ونابضة لما كانت عليه الفلسفة الدينية آنذاك ، وكيف كان المتكلمون يتناولون المشاكل الفلسفيه ، وما هى طرق تفكيرهم ومناهج بحثهم التى كانوا يعتمدون عليها .

موضوع الكتاب وتسميته :

إذا نظرنا فى النسخ المخطوطة التى حققناها لهذا الكتاب ، كما سيرد وصفها بعد قليل ، وجدنا أنها اختلفت فيما بينها فى تحديد عنوان الكتاب فنسخة تذكر أن العنوان هو (التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض) ونسخة أخرى تذكر أنه (التذكرة فى فى لطيف الكلام) ونسخة ثالثة ذكرت أن اسم الكتاب هو (التذكرة فى علم الكلام) ولعله من الواضح أن هذه التسميات لا تتعارض فيما بينها إذ أن الجواهر والأعراض) هما فكرتان تعبران عن خاص تحت عام ، أو جزء تحت كل هو (لطيف الكلام) وهذا بدوره يعد جزءاً تحت كل هو (علم الكلام) الذى كان يشتمل على موضوعات فى (الكلام الدقيق أو اللطيف) فى مقابل (الكلام الجليل) ومن أمثلة الموضوعات التى تنتسب إلى النوع الأول ، مشكلة التولد ، والبحث فى الخلاء ، والزمان والمكان ، والكلام فى الجسم ، والقول فى الجزء الذى لا يتجزأ ، والجواهر والأعراض .. الخ . ومن أمثلة الصنف الثانى وهو (جليل الكلام) الصفات الإلهية ، اللطف الإلهى ، الصلاح والأصلح ، الوعد والوعيد . وغيرها .

وعلى كل حال فإن ما يعنينا هنا هو أن عنوان المخطوط قد ورد على أنه « تذكرة فى ... أحكام الجواهر والأعراض » إذ أنه بالنظر الدقيق فى المضمون نجد أن هـــذا العنوان هو المطابق حقيقة للمعنون ، وهو تعبير عن الموضوع المتضمن فى الكتاب ، أما إذا ما قيل أحيانا (التذكرة فى لطيف الكلام) أو (التذكره فى علم الكلام) فإن ذلك إطلاق للنوع العام للمشاكل التى تدخل فيها مشكلة الجوهر وأعراضه ، أو لموضوع العلم الذى يبحثها .. وذلك تماماً كما نقول مثلا عن البحث فى فكرة المكان إنه بحث فى فكرة المقولة أو بحث فى علم المنطق، إذ أن البحث فى فكرة المقولة ، أو البحث فى مقولة الزمان وفى مقولة المكان ، أو فى أى مقولة أخرى من المقولات التسع ، إنما يعد بحثاً فى المنطق ، فأحد المقولات يحيل الى فكرة المقولة التى تحيل بدورها إلى المنطق ، كما أن المقولة كفكرة إنما تتضمن ضرورة الإشارة إلى الأعراض التسعة أو المقولات التسع .

وعلى ذلك فقد آثرنا أن نختار من بين العناوين الثلاثة للمخطوط ، العنوان الذى هو أقرب إلى طبيعة الموضوعات السائدة فى المضمون ، إلا وهو (التذكرة فى أحكام الجواهر والاعراض) . ونظن أن كتابا هـذا مضمونه من المسائل والمشاكل والتفريعات جدير بكل بحث وتحقيق .

حقيقة نسبة الـكتاب إلى صاحبه :

بالرغم من أن النسخ الثلاث للمخطوط قد أجمعت على إسناد كتاب التذكرة إلى ابن متويه ، إلا أننا حاولنا أيضاً البحث عن شواهد أخرى تؤيد هذه النسبة وتؤكدها ، من ذلك :

(ا) ما أورده عبد الله بن المرتضى اليمانى ، وهو من مجتهدى القرن الثامن الهجرى ، فى كتابه : (إيثار الحق على الخلق) قائلا : « وقد حاول ابن متويه

الجواب عن هذا فى تذكرته « بأن خلق الشيء وإحداثه هو إيجاده ، والله هو الذى جعل له صفة الوجود ، وهذا الجواب غير مخلص » ص ١١٠ إيثار الحق على الخلق

(ب) ما أورده أبو رشيد النيسابورى ، وهو زميل لابن متويه فى مدرسة القاضى عبد الجبار ، فى كتابه (ديوان الأصول) قائلا : « وذكر الشيخ أبو محمد فى (التذكرة) فقال : يمكن أن يفرق بين الموضعين فيقال . »

(ح) ما علق به استاذنا الدكتور أبوريده قائلا ، فى مقدمة نشرته لديوان الأصول : وكتاب التذكرة هذا هو بلا شك الذى ذكره لابن متويه ، أحمد بن المرتضى .

(ى) ذكر صاحب كتاب (طبقات المعتزلة ، ط بيروت سنة ١٩٦١) وهو أحمد بن يحيى المرتضى ، أن لأبى محمد الحسن بن متويه كتاباً بعنوان : (التذكرة فى لطيف الكلام).

هذه الشواهد ، وغيرها كثير ، يمكن أن يؤيد صحة إنتساب كتابنا إلى صاحبنا ابن متويه ، هذا إذ تجاوزنا عن النظر فى عبارات كثيرة وتفريعات وتقسيمات متعددة ، وأفكار وأدلة متنوعة نجدها فى هذا الكتاب تتقارب وتتشابه مع بعض ما جاء فى (المجموع فى الحيط بالتكليف) وهو كتاب وان نسب إلى القاضى عبد الجبار ، إلا أن هناك من الباحثين من يرجح انتسابه إلى ابن متويه ، خاصة وأن النسخ التى كانت تشير إلى أنه من جمع الحسن بن متويه ، وعملية الجمع هذه تجعل صاحبها مسئولا مسئولية كبيرة عن عمله ، لما فيها من اختيار للموضوعات ، وأسلوب العرض ، والمنهج المتبع فى مناقشة الآراء ، وتنسيقها وتبويبها ، وكأنها اشبه شيء بما يسمى (بالتأليف أو الإعداد) فى

أيامنا هذه . حيث تظهر شخصية المؤلف بين لحظة وأخرى ، بعكس الناسخ أو الكاتب الذى يسجل ما يملى عليه . ولقد ذكر ابن المرتضى أن لابن متويه كتاباً بعنوان (المحيط فى أصول الدين) ولعله قصد به (المحيط بالتكليف وهذا قد يؤدى بنا إلى القطع بأن كتاب التـــذكرة كتاب من تأليف ابن متويه بلا شك .

مؤلف الـكتاب :

اشرنا من قبل إشارات موجزة ، فى مواضع متفرقة ، إلى أن مؤلف كتابنا هذا هو ابن متويه ، فما هو اسمه وكنيته ؟ وما هى كتبه إذا كان له من كتب أخرى؟ ومن هو استاذه ؟ ومن هم زملاؤه ؟ ونرجو من القارىء العزيز أن يلتمس لنا العذر فى أن إجابتنا عن هـذه الأسئلة ستكون موجزة للغاية نظراً لأن كتب التراجم والوفيات ، لم تعط ابن متويه حقه تماماً كغيره . إن مؤلف هـذا الكتاب هو الشيخ الإمام أبى محمد الحسن بن أحمد بن متويه على بن عبد الله بن عطية بن محمد بن أحمد النجرانى المتوفى سنة ٤٦٩ هـ — ١٠٧٦ م أو سنة ٤٦٨ هـ ، والخلاف ليس كبير بين تاريخى وفاته حتى يحتاج إلى بحث وتحقيق .

وهو كما يروى مؤلف طبقات المعتزلة من الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة ، وهم أصحاب قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد ، ومن أخذ واعنه . وهو من تلاميذ القاضى النابهين ، درس عليه وأخذ كثيراً من آرائه ، ويبدو متابعاً للقاضى أكثر من تلاميذه الآخرين .

ويذكر بعض الباحثين أنه قد حفظ لنا كتاب (المجموع فى المحيط بالتكليف) إذ سجل ما كان يقوله القاضى عبد الجبار وجمعه على طريقة الاقدمين فى أماليهم ودروسهم .

أما استاذنا الدكتور محمد أبو ريده فهو أميل إلى جعل كتاب (المجموع فى المحيط بالتكليف) كتاباً من تأليف ابن متويه ، حيث يقول فى تصديره لنشرة (ديوان الأصول) للنيسابورى : « وقد قارنا بين كتابنا وبين كل ما أمكن النظر فيه من كتب المعتزلة المخطوطة خصوصاً مصنفات تلاميذ قاضى القضاه ، ومن بعدهم ، مثل كتاب (المجموع فى المحيط بالتكليف) لأبى محمد الحسن بن متويه ... » (راجع مقدمة ديوان الأصول ص ٨ ، ١٥ ، ٤٥ ، ٥٨٩ وما بعدها ، لتجد ترديدات كثيرة تؤكد نسبة كتاب المجموع فى المحيط لابن متويه ، وهذا يتفق مع ما قاله ابن المرتضى من أن لابن متويه كتابين هما : (التذكرة فى لطيف الكلام ، المحيط فى أصول الدين).

كيف أمكن الحصول على الكتاب ؟ :—

أشرنا فى موضع سابق إلى ما كان يعانيه المعتزلة من اضطهاد فى فترة من الفترات ، فكيف أمكن الاحتفاظ بهذا الكتاب وبأمثاله من كتب تراث المعتزلة .

إن هذا الكتاب من تركة المعتزلة وإرثهم ، وليس جديداً هنا أن نقول إن هذا الصنف من الكتب العربية كان نادر الوجود فى هذا العصر ، ذلك بسبب ما نزل بكتب المعتزلة عامة من الاحراق والتدمير والاتلاف ، وما صب على رؤوس الاعتزال ومشايخه من التقبيح والتكفير والتنكيل .

ومما يجب أن نشير إليه هنا هو الطرق التى أمكن بها الحفاظ على تراث المعتزلة ، ولعل أهم هذه الطرق كان الشيعة الزيدية حيث أنهم اعتنوا عناية فائقة بحفظ تراث المعتزلة ، بسبب ما يوجد من صلة وثيقة بين المذهبين وقد يكون عنوان كتابنا (التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض) لايشير مباشرة إلى كونه من كتب التوحيد التى خيل للبعض أنها تتطاول على الذات الإلهية ،

فكان عنوان التذكرة حامياً وحارساً للكتاب بحيث أبعد أيدى العابثين عنه ، وأمكن الإحتفاظ به ، مما جعل بعض العلماء يدخره رغبة فى الانتفاع بما فيه من مسائل وموضوعات ليست على صلة مباشرة بعلم أصول الدين . وهذا يدل على ضيق أفق من قاموا بالكيد للمعتزلة وبالتنكيل بهم إذ أنهم كانوا يحكمون على الكتاب بالإعدام ، بالاحراق أو الاغراق ، من مجرد النظر فى اسمه فقط دون الوقوف على المضمون الحقيقى للمعنون . وكانت هذه السطحية فى الحكم ذات فائدة جليلة على هذه الأنواع من الكتب الإعتزاليه ، وبعض كتب الفلسفة الرشدية وغيرهما ، فرب ضارة نافعة حقا .

ولقد عثرت بعثة اليمن برئاسة المرحوم الاستاذ / فؤاد السيد رئيس قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية سابقاً ، والأستاذ / خليل نامى بأمانة المخطوطات بجامعة الدول العربية ، على هذا المخطوط ، وغيره كثير .

النسخ موضوع التحقيق :

ذكرنا أن بعثة اليمن قد عثرت على كتابنا هذا مخطوطاً من ثلاث نسخ ، مكتوبة فى سنوات مختلفة ، سنذكرها عند وصف النسخ ، ووجدنا أن هذا الكتاب يقع فى جزئين ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية فى مكتبة برلين . كما ذكر بروكلمن أن ثمة نسخة أخرى فى الأمبروزيانا بميلانو تحت رقم 581, C. 104 , Rso Viii وبعنوان رسالة فى لطيف الكلام . أما عن المكتبة التيمورية فلا يوجد بها إلا الجزء الأول من التذكرة وناقص من أوله الكثير، كما أن النسخة من الرداءة بحيث اضطررنا إلى تركها تماماً والاعتماد على نسخ اليمن الثلاث .

ولقد وجدنا أن الثلاث نسخ التى جاءت من اليمن كلها كاملة ، فيما يتصل

بالجزء الأول وهو موضوع كتابنا هذا ، أما فيما يتصل الجزء الثانى وهو عن (الحياة) فلا يوجد إلا فى نسخة واحدة من هذه الثلاث ، ونحن نعده الآن للطبع مع محاولة دائبة للحصول على صورة لمخطوط الأمبروزيانا لمعرفة ما إذا كان متضمنا للجزء الثانى أم مقتصراً على الجزء الأول فقط .

وهكذا فلقد اعتمدنا فى تحقيق الجزء الأول هذا على ثلاثة مخطوطات رئيسية مستقلة هى :

١ ــ أما عن المخطوطة الأولى والتى رمزنا إليها بالحرف (ا) فقد كتب عليها ما يلى :

المكتبة المتوكلية اليمنية بالجامع الكبير بصنعاء . ب : ٢٧٨٠١ . رقم التصوير : ٨٢

رقم المخطوط بدار الكتب : ٢٠٧ علم . الكلام

اسم الكتاب وموضوعه : التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض . الجزء الأول .

أوله بعد الديباجة : « هذه تذكرة تشتمل على بيان أحكام المعلومات ، (قبلها الموجودات ومشطوب عليها) ، وأوصافها وتجمع إلى الايجاز فى القول استقصاء فى الأدلة والأسئلة وبيانا للأصول والفروع » .

المؤلف : أبو محمد الحسن بن أحمد بن متويه .

تاريخ المخطوط : ٦٠٥ هـ

عدد الأوراق : ٢٠٧ لوحة . المقياس : ٢٥ × ١٦ سم

كتبت هذه النسخة برسم خزانة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة أحد أئمة اليمن الزيدية المتوفى سنة ٦١٤ هـ .